

* * *

النقد الأدبي والعلوم: التفاعلات والصلات

تتوير أحمد بت

باحث الدكتوراة، قسم اللغة العربية وآدابها،
جامعة كشمير، سرينغر

د. شاد حسين

الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها،
جامعة كشمير، سرينغر

التمهيد: النقد هو علم وفلسفة، وهو فن، ومن أعماله الأساسي تشخيص الأدب وانتقاده، والنقد هو عمل ثقافي أيضا الذي يتيحنا تصور الأدب البديع، ومن وظائفه تقويم الأدب بعد المقارنة وتحديد مكانته في تاريخ الأدب -

إن الربط بين النقد والإنشاء وثيق جدا، بل إن الكاتب هو أول قارئ في ذاته وناقد في كتابته، ولا يمكن للناقد أن يفوز بمهنته إذ لم يتصف بذوق أدبي عال، ولا يمكن للناقد أن يصل بغيره إلى الدرجة العليا في النقد، وكذلك أن يكون الأديب ماهرا في فنه -

وإنما العلاقة بين النقد والتحقيق متين جدا لا يمكن الفصل بينهما، ومن وظائف التحقيق الوصول إلي الحق، والهدي إلى النصوص الصحيحة، ويميز الملحقات والاحترافات فيها، فلا بد للنقد الصحيح أن يكون نص صحيح لأنه هو أساسه -

والنقد من أصعب الوظائف، فله علاقة وطيدة بالعلوم الإنسانية كالتاريخ والاجتماع وعلم الجمال وعلم النفس وغيرها من العلوم -

عملية النقد

إن النقد هو رمز إلي عناصر الأدب الحسنة والسيئة أو إلي الفنون الأدبية والمحاسبة عليهما، والنقد هو فن لتحليل إنشاء وتحديد مكانته والتحكيم عليه، والتعليق والتعليل أيضا من هذا القبيل، فإن كان هذا التصحيح والتغليط أو الترتيب والتدوين أو التمييز بين الملحقات والاحترافات في نص أدبي فيسَمِّي ذلك بالنقد النصي وكذلك يقوم النقد الأدبي بشرح الأعمال الأدبية وتعريفها فيرتها الناقد وأحيانا يقارنها بالأعمال الأخرى الأدبية، ويحدد مكانتها في تاريخ الأدب، وعملية النقد لا يتم

بتوضيح شيء وتفسيره أو شرحه فقط ولا بإعادة نص بغيره من الألفاظ والتعبير- فإذا أراد المنشئ أن يبرز محاسن النص ويدل علي معائبها فقد وجد النقد، والناقد يحتاج إلي رأيه الأصيل عند حكمه لأن رأيه يعد من أركان النقد الأساسية، ويجب أن يكون الرأي خاليا من التعصب والانفعال الخياري، والحقيقة أنه يشق علي الناقد أن يقرأ نتاج أديب إذ تكون نفسه خاليا من الوجدانية والعاطفة كاملا، ولا يمكن له أن يقرأه دون الملل والانزعاج، ولكن إذا نعد النقد في نطاق عملية الحكم فالحاكم لا يكون عمله إجراء الحكم فحسب، بل يتوقع منه أن ينفذه أيضا وهذا يكون جوابا بالنسبة إلي نفسه، فلا بد للأصول أن تكون قائمة علي الأدلة التي تميز بها بين حسن الأدب وردئه، ولا بد لهذه الأصول أن تطمئن القراء، وتصيقل أذهانهم، وتضيف في علمهم أضعافا مضاعفة، والنقد يقرب الصلة فيما بين الكاتب والقاري من جانب، ويكشف الإبهام، وينير طريق التبليغ من جانب آخر، ويسعي أن يوفر الأجوبة لتلك الأسئلة التي تبدو خلال القراءة، ويزيل تلك الشبهات التي يواجهها القاري مرارا .

النقد والأدب

كثيرا ما يقال إن الأدب لا بد له من النقد، فالحقيقة أن المنشئ للأدب ذا حس نقدي، يستطيع به أن يميز بين الأعلى والأدنى من الفن ويعلم التطويل المشين أو الاختصار الناقص كما يعرف الإطناب والإيجاز اللذان يؤثران على الإنشاء الفني إيجابا وسلبا، وتوجد في نفس الأديب نفس غير نفسه تناقشها، وتباحثها وتخاصمها، وتفاهمها أو تزاحمها فيباين فيهن، وأمّا الناقد فهو أيضا يدخل في هذه المشاجرات في صميم نفسه، بل تكون هذه المشاجرة أشد من الأديب بعض الأحيان.

ويقول كلیم الدین أحمد " إن النقد يجري مجري الأدب، لا يتنفس بدون الأدب، إذا لم يوجد الأدب في لغة ما أو يكون وضعه في أسوء حال لم يتطور فيه النقد، يتكون الأدب أولا ثم يأخذ الناقد الأصول من الأعمال الأدبية " -١

إن الإنشاء يواجه تحدي الناقد فيكون بعض مناحيه مخفيا حتى يأتي الناقد فيجلبها وينقب باطنه ويظهر محاسنه ومعائبه التي تكون عقب أنظارنا-

وإن المؤهلات النقدية والإنشائية تكون متعارضة ومتلائمة على حد السواء، وهذه المؤهلات توجد في كل أديب وفق موهبته، فهي تعزز بعضها بعضا وتجلبها، حينما نطالع التاريخ الأدبي نجد أن كبار المنشئين كانوا هم يتمتعون بمؤهلاتهم النقدية أيضا لذا يعد بعض الشعراء والأدباء من كبار الناقدین مثل أبي العلاء المعري والجاحظ و دانته و جانسن و كيتي و كولردج و إيليت وغيرهم.

يدّعي أسلوب أحمد أنصاري بأن النقد هو عمل الإنشاء وإن الناقد والمنشئ ليس هناك فرق في مؤهلاتهما، وإنما الفرق في مكانتهما وهو يقول " إن النقد هو إنشاء أيضا مع أن هناك تباين في الفضل لأن المؤهلات التي تتصف بها الأعمال الإنشائية يجب أن تكون في النقد أيضا غير أن النقد هو يوسع المدركة للإنسان كما يدرك شاعر وأديب ومصور ومغني والناحت " ٢....

النقد والتحقيق

إن النقد والتحقيق لكل منهما نطاق العمل الفسيح، ولكل منهما أهمية كبيرة، والمهم أنه يساعد بعضهما بعضا، فإذا نظرنا إلى أدب ما، فنري أن سهما كبيرا منه يحتوي علي الملحقات التي ليس لها أي علاقة بالمتون الأساسية، فلا بد للباحث أن يبحث عن متونها الأصلية ويحاول الوصول إلي المصادر الأساسية، أما الأدب الأردني القديم فقد ظلت روايتها شفوية لحقبة من الزمن ومن أخطار هذه الرواية أن الناقل قد زلّ بعض الأحيان عن نقل متون الأصلية، أو زاد فيها بعض الأشياء التي لم تكن منها، أو غيرّها بنية التصحيح، ليس هذا الوضع في أدب اللغة الأردية فحسب، بل هذا الشأن لجميع الآداب العالمية، فمن مسئولية الباحث أو الناقد أن يشير إلي هذه الأغلط والتسامحات، فهو يسعى للوصول إلي المتون الأصلية والصحيحة، فإن المتون الأصلية تساعد الناقد -

فهذا هو عمل التحقيق والتأليف الذي يوفّر المتون الصحيحة للنقد، وعمل التحقيق يكون من أعمال النقد الأساسية، فيضطر المحقق والمؤلف إلي أن يعملوا بالحس النقدي لأن النقد والتحقيق هما يحفزان علي التفحص والبحث عن المتن

الأصلي الصحيح الذي يسي بالنقد النصي، والنقد والتحقيق يحتاج بعضهما إلي بعض آخر، لأن النقد دون التحقيق مثل خبط العشواء، وهما يساويان في بعض الأهداف، فالمحقق يتوفق بثمرات بحثه وفق موهبته النقدية -

يري كيان جند بأن النقد والتحقيق يتكافؤ بعضهما ببعض، ويرفض الرأي الشائع بأن بينهما علاقة معاندة أو هما ضدان للآخر - ٣

النقد والتاريخ

يربط النقد بالتاريخ ربطا وثيقا، لأن النقد لا يمكن أن يسافر إلا في ظل التاريخ، وأن الناقد هو يحتاج إلى تفهم حقائق التاريخ وفلسفاته، لأنه هو يستعين بهذه الحقائق والفلسفات فيفهم روح العصر فللدكتور احتشام حسين رأي متوسط بهذا الصدد فيقول-

"إن بناء الفن النقدي على الحقائق التاريخية لا يستحسن به غير أنه ليس هناك مفرا عنها أيضا لأن النقد يفهم في ضوء التاريخ وترتب أصوله ترتيبا حتى يتمكن لكثير من الناس من أن يستفيدوا بالأدب ويتمتعوا به ويفهموا حقائقه، ويقوموا بإشاعتها حتى ينتفع بها الآخرون، ولا يجوز اختراع أصول النقد وفق أهواء، فالأصول تحرز الأهمية إذ يعجب بها أكثر الناس لأنها تعاونهم في التمتع بالأدب وتأثر به " ٤

كذلك تتلاقى فلسفة النقد الأدبي الحديث مع الفلسفة التاريخ الحديث أو ما يمكن تسميته (النقد التاريخي) إذ لم يعد التاريخ بحثا عن الامتداد الزمني في الماضي بوصفه إطار لما وقع فيه من حوادث، ولكنه أصبح كشفا عن القيم الإنسانية فيما تكشف عنه هذه الحوادث من قوانين إنسانية محدودة لعواملها التاريخية و بهذا يكون التاريخ كشف عن قيم إنسانية في الماضي، وهذه القيم لا يمكن أن تكون موضوعية محضة، إذ تتطلب شرحا وتأويلا، والحقائق التاريخية فيها ليست إلا لبنة أو تعلقة لقضايا المؤرخ، وفيها يعود المؤلف في شروحه الصادرة عن فهمه للماضي إلى الحاضر ليوسع آفاقه و ينمى جوانبه، فتولد المعاني الإنسانية مجردة في عاقبة الأمر من معناها الزمني.....فتكشف بذلك عن الخصائص الدائمة للوجود الإنساني - ٥

النقد وعلم الاجتماع

النقد وثيق الصلة من حيث أصوله و مناهجه بعلم الاجتماع فعلم الاجتماع يبحث عن الفلسفة نظم المجتمع والنواميس التي تتحكم فيه، فما هو إلا نقد، ولا شك أن النقد يثرى بدراسات علم الاجتماع، و يستفيد من مباحثه التي تدور حول العلاقة بين الفرد و الجماعة، والمسؤوليات التي على الجماعة للفرد والعكس من حيث تقدم النوع الإنساني في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و العقلية، وإن علماء الاجتماع قد بحثوا في أن الأديب هل ينبغي له أن يوجه أدبه إلى خير المجتمع أم هو طليق فيه، بل يترك نفسه تتجه كما تشاء من غير شرط و لا قيد و هو ما يعبرون عنه ب(الفن للفن) -

النقد وعلم الجمال

يربط النقد الأدبي بعلم الجمال ربطا كاملا، فإن البحث عن الجمال وعناصره جزء مشترك فيما بينهما، لأن النقد يستخدم علم الجمال في إدراك خواص الجمال ومظاهره، وفي تفهم النظريات الجمالية وأسرار الجمال والربط بينها وبين جمال الأدبي. وإن النقد يستمد من علم الجمال حينما يهدم القواعد القديمة وابتكر نظريات جديدة أقرب إلى الصحة في نظر الجماليين من آراء النقاد.

ومع ذلك ففي تحديد النظريات الجمالية ومحاولة فرضها على الأدب والنقد ضرر كبير، لأن طبيعة العواطف الإنسانية التي تتميز بأنها مهمة و غامضة لا يستطيع تحديدها، ولا يمكن تقييدها لأن " دخول الدراسات الجمالية في النقد هو أن الدارس الجمالي يتعمق في البحث التفكري المجرد تعميقا يؤدي به إلى أن يبتعد تماما عن الموضوع الأدبي الذي يبحث فيه، فيغرق في لجج من التفكير الفلسفي و الخلقى و النفسي تجعله في من أي عن الأدب و الذوق الأدب، بل تنتزع منه الحاسة الجمالية نفسها فالدراسة الجمالية مع فوائدها كانت لها أضرارها. ٦

ويرى "ريتشاردز" A RICHARDS في كتابه "مبادئ النقد الأدبي" أن علم الجمال قد جنى على النقد حين أشاع بعض الاصطلاحات الزائفة مثل "الانفعال الجمالي، والحالة الجمالية" ...مع أن هذه الاصطلاحات لا تخرج عن كونها أوهاما-

والنقد الأدبي عنده يقوم على شيئين رئيسيين: تفسير عملية التوصل، وتفسير

القيمة ٧

النقد وعلم النفس

يرتكز الأدب على العناصر الشعورية والتعبيرية وفي دراسة هذه العناصر الشعورية نطاق واسع لعلم النفس، والنزعة النفسية هي وليدة العصر الحديث في تفهم الأدب ونقده، وهي أتت إلينا من الغرب، ولم يكن لها أصول في ثقافتنا العربية، وأما موضوع الأدب فهو الإنسان في ذاته، وهو شبيه بعلم النفس في هذا...، ويميز تناول علم النفس الظواهر العامة و تناول الأدب العنصر الفردي لكل إنسان عن أخيه، وإن الباحث في علم النفس يتحدث عن الخيال أو العاطفة أو الغريزة كظواهر عامة تشتمل الإنسانية كلها، فإذا كان الأديب شاعرا يغني بإحساسه الخاص، وإن كان قصصيا يصور الشخصيات يبرز ما فيها من أصالة حتى يفرق به بين الشخصيات التي تشترك في موضوع واحد.

فإن قضايا الخيال والعاطفة والأصالة والصدق الفني والتجربة الأدبية والشخصية والأسلوب من قضايا النقد الأدبي، ولا يمكن لنا أن نستهدي في فهمها إلا النفس، لأن لها الصلات واشجة بعالم الذات وما يحيط هذا العالم لمؤثرات بيئة واجتماعية وحضارية وعقلية.

وكما يلاحظ (هربرت ريد) فإن النقد الحديث لا يحبس نفسه في (دائرة العمل الفني) وحده فحسب، ولكنه يتخطى هذه الدائرة لكي يواجه (العملية الفنية) نفسها، وما يمكن أن يكون عليه الفنان في لحظات الخلق والإبداع من مستوى عقلي وانفعالي ولغوي إذا جاز أن يقال -.....٨

جملة القول

و في مسك الختام يمكن أن يقال أن الناقد له مزاولات بشتي العلوم، ولا ينبغي له أن يخرج نفسه من هذه المزاولات لأنه يحس حاجة ماسة إلي هذه العلوم، والأدب في طياته يحتوي مكونات من الفلسفة والتاريخ، وهو تصوير الحياة الثقافية

والاجتماعية، فلا بد للناقد أن يكون ملماً بهذه العلوم، ومن ناحية أخرى أن النقد هو فنّون الفنون الأدبية لأن له علاقة بالإنشاء، وإن الإنشاء هو أساس النقد، ويكون جميع الأدباء أسبق القارئ لكتابتهم وأول نقادها أيضاً، ويكون فن المنشئ تاماً حسب نضج حسه النقدي، وكذلك أن النقد هو من أعمال الثقافة الذي لا بد للأدب، ويحتاج كل منهما إلى الآخر في حسن إيجاد الأدب ونقده .

الهوامش

- ١- تعريف النقد وعلاقاته الأخرى لبروفيسور عتيق الله India Pathshala MHRD Govt. of ص ٨
- ٢- ادب اور تنقيد : اسلوب أحمد أنصاري ص - ٢٥
- ٣- تعريف النقد وعلاقاته الأخرى لبروفيسور عتيق الله India Pathshala MHRD Govt. of ص ١٤
- ٤- تعريف النقد وعلاقاته الأخرى لبروفيسور عتيق الله India Pathshala MHRD Govt. of ص ٢٢
- ٥- أنظر... النقد الأدبي الحديث للدكتور محمد غنيمي هلال ..ص ٧
- ٦- النقد الأدبي لأحمد أمين ...ص ٣١١.... ٣١٢
- ٧- أنظر... مدارس النقد الأدبي الحديث، محمد عبد المنعم الخفاجي، ص ١٩٤
- ٨- عن اللغة والأدب والنقد، رؤية تاريخية ورؤية فنية، دكتور محمد أحمد العزب، ص ٢٦٤
